

## البَابُ الثَّانِي

### التَّصَوُّفُ مَا هُوَ؟

قَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: (التَّصَوُّفُ مَا هُوَ؟) جَمَاعَةٌ بِأَجْوِبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ: مِنْهُمْ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَوْلَدِ رَقِي رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ جَوَابٍ فِي كِتَابِهِ نَنْقُلُ بَعْضًا مِنْهَا اخْتِصَارًا.

١ - سَأَلَ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْقِصَّابَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ مِنْ أَسَاتِذَةِ الشَّيْخِ جُنَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ التَّصَوُّفِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ:  
(أَخْلَاقٌ كَرِيمَةٌ ظَهَرَتْ فِي زَمَانٍ كَرِيمٍ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ مَعَ قَوْمٍ كِرَامٍ).

٢ - قَالَ الشَّيْخُ الْجُنَيْدُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ أَنْ تُعْرَضَ عَنِ الْخَلْقِ وَتَصِلَ بِاللَّهِ).

٣ - قَالَ الشَّيْخُ رُوَيْمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ اسْتِئْزَالُ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يُرِيدُهُ).

٤ - قَالَ الشَّيْخُ سَمْنُونُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(التَّصَوُّفُ أَنْ لَا تَمْلِكَ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُكَ شَيْءٌ).

٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(التَّصَوُّفُ عَنِ الدَّخُولِ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ وَالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ

دُنِيٍّ).

٦ - قَالَ الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ الْمَكِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى فِي الْوَقْتِ) .

[اللمع ص ٢٥]

٧ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ مُرَادِفٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَنْ كَانَ أَحْسَنَ مِنْكَ خُلُقًا كَانَ أَحْسَنَ تَصَوُّفًا) .

٨ - قَالَ الشَّيْخُ الْمُرْتَعَشُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ مَجْمُوعٌ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) .

٩ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَزْوِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ يُطْلَقُ عَلَى أَخْلَاقٍ يَرْضَى بِهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ) .

١٠ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ التُّورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ لَيْسَ بِعِبَارَةٍ عَنْ عِلْمٍ أَوْ فَنٍّ بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ) .

١١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ خَضْرَوِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّزْكِيَةِ مِنْ حُبِّهِ الْبَاطِنِ وَقَدْرِهِ) .

١٢ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَكْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ لِإِقَامَةِ أَحْوَالِ النَّفْسِ عَلَى الصُّدْقِ) .

١٣ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصِ النَّيْسَابُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ كُلُّهُ آدَابٌ، آدَبٌ كُلِّ وَقْتٍ، آدَبٌ كُلِّ حَالَةٍ، آدَبٌ كُلِّ مَقَامٍ) .

١٤ - قَالَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ) .



١٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ شَنْبُجَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ فِي زَمَنِ كَانَتْ حَقِيقَةً بِأَسْمٍ، وَأَصْبَحَ الْيَوْمَ اسْمًا بِأَلَا حَقِيقَةً).

١٦ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَمِزَةَ الْبَغْدَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ أَخَذَ الْعَفْوِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ).

١٧ - قَالَ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ نَقِشْبَنْدِ الْبُخَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الْإِجْمَالِيَّ تَفْصِيلِيًّا وَالْأَمْرُ الْاسْتِدْلَالِيَّ كَشْفِيًّا).

١٨ - قَالَ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مَجْدُدُ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ).

١٩ - قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ أَشْرَفُ عَلِيِّ التَّهَانَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ لِمَحْوِ النَّفْسِ).

٢٠ - قَالَ شَيْخُ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ مَا بَدَأَتْهُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَنَهَايَتْهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»).

٢١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ عَلِيِّ الْلَاهُورِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ أَنْ تُرْضُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَرَسُولَهُ بِالطَّاعَةِ وَخَلْقَهُ بِالْخِدْمَةِ).

**مَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ:**

الحياة جوهراً ثميناً مفوضاً بربه إلى الإنسان. يخاطبُ ربُّ الْعَالَمِينَ الإنسانَ في مقام بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وفي مقام توجُّه بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الإسراء: ١٧٠] وفي مقام أعزُّه بتعليق قِلَادَةِ قوله: ﴿فَضَّلْنَا﴾ في عُتْقِهِ، فينبغي للإنسان أن يسلك على سبيل: ﴿وَبَتَّلْ

إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿ [المزمل: ٨] واضعاً أمامه ميثاق: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولا يستريح إلا بعد أن يبلغ إلى منزل: ﴿ إِنْ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٤].

ثم اعلم أنه لا بد لوصول كل سياراة إلى المنزل من أمرين: أحدهما: أن يكون الشارع سالماً. وثانيهما: أن يكون البنزين موجوداً في السيارة، فإن لم يكن الشارع سالماً لا تجري عليه السيارة، وإن لم يوجد في السيارة بنزين لا تجري السيارة أيضاً، فهما متلازمان. فالإنسان كالسيارة والشريعة كالشارع والطريقة كالبنزين، فإن كان الإنسان يريد الوصول إلى الله تعالى، فهو محتاج إلى شارع الشريعة وبنزين الطريقة، فالذين يرفضون شيئاً من الشريعة أو الطريقة يجدون سياراتهم واقفة في الطريق. الحياة الناجحة أن يعيش الإنسان ملبياً على: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ متخلّقاً بـ: «تخلّقوا بأخلاق الله» متحلياً بالأوصاف المحمدية ليصل إلى بشارة: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ [يونس: ٦٤] ومنزل: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] بعد أن دخل في حزب: ﴿ وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الزمر: ١٧] فهذا هو التصوّف.